تصير شاهد الزور على عقابيل تسوية كامب ديفيد ، التي لا تعطي للفلسطينيين من وليمة الاستسلام الا ما هو اقل من الفتات . وتكاثفت الضغوط المنصبة على المنظمة ، ضغوط من أنواع ومستويات جديدة، استهدفت الاثقال عليها . وتجلت في مقابل ذلك ، فعالية المنظمة في أن تحتفظ بمقدرتها على الحركة الحرة والمجابهة ، في ميدانيها العسكري والسياسي ، وتسهم في تطويق آثار كامب ديفيد ، وتضع تسويته كلها في المأزق الذي تلج فيه الآن . وهو المأزق ، الذي يهدد مصير هذه التسوية من اساسه ، ويدفع الوالجين فيه الى البحث عن وسائل أخرى تنقذ ما يمكن انقاذه منها .

فكيف تسنى للمنظمة ، التي كانت في حساب كامب ديفيد اضعف الفرقاء والمرشح الأول من بينهم للانهيار ، ان تلعب هذا الدور في مواجهة تسوية من هذا النوع ؟ ان الاسباب التي ترد في معرض الاجابة على هذا السؤال عديدة ، ومتداولة . وبينها الحقيقة التي تأكدت بمضي السنين ، حقيقة ان الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها كرس منظمة التحرير بوصفها الممثل الشرعي الوحيد له ، والمعبرة عن طموحاته الوطنية والمسؤولة عن تحقيق مطالبه فضلا عن صياغتها ، وان هذا الشعب يزداد ، بدوافع مفهومة تماما ، تمسكا بهذه الحقيقة كلما رأى ان مصيره الوطني بالذات معرض للخطر ، فيزداد التفافه حول المنظمة وتتراجع ، الى الدرجات التالية من الاهتمام ، الخلافات الداخلية والانتقادات وحتى الشكاوى ، لتفسح المجال امام مزيد من التماسك الوطني الشامل حول برامج المنظمة ومواقفها ، اي حول ما هو مشترك في طروحات القوى الفلسطينية كافة .

وتجلى هنا ، تأثير التحالفات التي بنتها المنظمة مع القوى والانظمة العربية التي لها ، بهذا المقدار او ذاك ، مصلحة في دعم المطالب الوطنية الفلسطينية . وتجلى ايضا ، وزيادة على هذا وذاك ، تأثير التحالفات الدولية التي اقامتها المنظمة مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى والعديد من الدول ، ومع الاحزاب والهيئات والقوى ذات النفوذ في بلدان العالم كافة . وصار لهذا كله ، اذن ، تأثير في اسناد مواقف المنظمة وهي تخوض في السنتين الماضيتين واحدة من اشد واقسى المجابهات التي فرضت عليها منذ تأسيسها : وفي حمايتها من الانهيار امام الضغوط السياسية والعسكرية المتكاثفة ، المنصبة ضدها من اسرائيل والولايات المتحدة واصدقائها والموالين لها في البلاد العربية .

واستطاعت المنظمة بفضل الرصيد المتكون لها فلسطينيا وعربيا ودوليا ان تجد المقدرة الكافية على ان تقول : لا لكامب ديفيد جملة وتفصيلا . اي ان تقول : لا للسياسة الاميركية ، وهي في ذروة هجومها على المنطقة ، ولا لاسرائيل ، وهي في ذروة زهوها بغنيمتها في مصر ، ولا لمؤيدي كامب ديفيد صراحة من العرب ، ولا لمؤيديه المقنعين ، ولا للذين ايدوا الاستسلام الساداتي وتروروا لكي يرقبوا استسلاما فلسطينيا لائقا ، يحررهم من الحرج امام شعوبهم التي ستحاسبهم بمقياس ادعاءاتهم ذاتها حول تمسكهم بعروبة فلسطين وقداستها ، ولا للمتخوفين من المجابهة تحت شتى الذرائع ، ولا للمتآمرين الذين يظهرون غير ما يبطنون ، ويسلكون على نحو مغاير لما يعلنون من اقوال . وبرز الصمود شعارا حققته المنظمة من جانبها بالفعل في ظل شتى انواع الضغوط المباشرة وغير المباشرة ، المقنعة وغير المقنعة ، ووسط المخاوف التي روجها المبشرون بعصر الهيمنة الاميركية على الشرق الاوسط .